هذا الأمين هذا محمدﷺ

تعرّضت الكعبة لعدة عوامل جوية ، مما جعل جدرانها تتصدّع ، فاجتمع وُجهاء مكة وتشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على هدمها وإعادة بنائها .

ووقف الوليد بن المغيرة وقال: أنا أبدؤكم في هدمها ، ثم أخذ المعول ورفع ببصره نحو السماء ، ثم قال: اللهم ، إنا لا نريد إلا الخير .

ولما انتهوا من هدمها ، جمعوا الحجارة والمال من أجل إعادة البناء ، واتفقوا على أن لا يُدخلوا في بنائها من كسبهم إلاّ طيباً ، لا يُدخلوا فيها مهر بغيٍّ ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحدٍ من الناس! وحدث خلاف كبير بين القبائل حول من يتولىٰ شرف حمل الحجر الأسود ، لكن الحلّ كان عن طريق روح الوجود محمد ﷺ.

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلةٍ تجمع علىٰ حدة ، ثم بنوها حتىٰ بلغ البنيانُ موضع الركن ـ أي: مكان الحجر الأسود ـ ، فاختصموا فيه ، كل قبيلةٍ تريدُ أن ترفعه إلىٰ موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا ، وتحالفوا ، وأعدّوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ بن كعب بن لؤي علىٰ الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدم ، فمكثت قريش علىٰ ذلك أربع ليالٍ أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا ، وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أميمة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن أبي مخزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلّها ، قال: يا معشر

قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا.

فكان أول داخلٍ رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد.

فلما انتهىٰ إليهم أخبروه الخبر ، فقال ﷺ: «هلمَّ إليّ ثوباً» فأُتي به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال: «لتأخذْ كل قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً».

ففعلوا حتىٰ إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنىٰ عليه ، وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين[1].

أجل!

فالصادق الأمين قبل البعثة ـ هكذا وصفه المشركون ـ ، فكيف بعد أن أنزل الله تعالىٰ عليه القرآن الكريم؟ أوليس جديراً بعقولهم أن تفكّر بذلك؟!

والسؤال الملحّ هنا: ماذا تأثّر الرسول ﷺ بصدّهم وتكذيبهم؟ إنه لن يضره أن تنبح عليه هذه الأصوات ، لأن القافلة ستظلّ سائرةً مهما كانت الذئاب تعوي:

ما ضرَّ شمسَ الضحىٰ في الأفق ساطعة أن لا يرىٰ نورَها من ليس ذا بَصَرِ

فلو وقفوا في صف واحد ، وحاولوا أن يحجبوا نور النبي ﷺ ، لعادوا بخفّي حُنين:

وما ضرّ الورود وما عليها إذا المزكوم لم يَطْعَمْ شذاها

وكما فعلوا قديماً ، يحاول الحاقدون الحاسدون أن يشوّشوا علىٰ سنّة وسيرة حبيب القلب أحمد ﷺ ، ولكن أنّى لهم ذلك؟!.

ما يضرّ البحر أمسىٰ زاخراً أن رمىٰ فيه غلامٌ بحجَرْ

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢١٣ ، تاريخ الطبري: ٢/ ٢٨٩.

فحاشا يا رسول الله أن تكون إلا الصادق الأمين ، والسراج المنير ، والهادي إلىٰ الطريق القويم ، فليَهْرِف الأعداء بما لا يعرفون ، وليحاولوا أن يطاولوا السماء ، وليمدّوا إلىٰ السماء يداً شلاّء ، وليمضغوا الهواء ، وليفتلوا من الرمال حبالاً . . . فأنت يا سيدي يا رسول الله الرحمة المهداة للعالمين ، فصلوات الله عليك في كل وقت وحين .

* * *